علاقة الملك إدوارد الأول الإنـجليزي بباروناته

(١٢٧٢ – ١٣٠٧م)

إعداد

الباحثة/ فاطمة سيد محمد أحمد

ماجستير في الآداب / تاريخ

كلية الآداب ـ جامعة أسيوط

تـاريخ الاستلام : ١٤/ ٨/ ٢٠١٩م

تـاريخ القبـول : ٨ /١٠ /٢٠١٩م

مقدمة:

الملك إدوارد الأول الإنجليزي (١٢٧٢ _ ١٣٠٧ م) من أقوى الملوك الذين حكموا إنجلترا خلال العصور الوسطى، وتميز عهد الملك إدوارد الأول بالنجاح في تاريخ إنجلترا، كان رجلاً طموحًا قوى الإرداة، قائدًا محنكًا في فنون الحرب والسياسة، على قسط وافر من التعليم، كان يجمع بين القوة والعدالة والرغبة في الإصلاح، استطاع الملك إدوارد الأول تحقيق كثير من الأهداف التي حددها منذ توليه عرش البلاد، فكانت إصلاحاته التشريعية والقوانين التي أصدرها أهم مميزات عهده، وأطلق عليه بعض المؤرخين لقب " جستنيان الإنجليزي" وذلك تشبهًا بالإمبراطور جستنيان البزنطي نظرا لكثرة ما شرع في عهده من قوانين.

بالرغم من الاصلاحات التي قام بها الملك إدوارد الأول في إنجلترا، إلا أن سياسته الخارجية سببت له أزمات داخلية، بدأت الأزمات المالية في عهد الملك إدوارد الأول خلال السنوات التالية لتوليه العرش نتيجة لحروبه الطويلة مع الويلزيين، الحرب الأولى (١٢٧٦_١٢٧٧م) والثانية (١٢٨٢_ ١٢٨٣م) والتي اقترض خلالها مبالغ طائلة من الشركات الإيطالية، فضلًا عن الضرائب التي فرضها على أفراد الشعب الإنجليزي.

وعلى الرغم من استمرار الأزمات المالية من عهد الملك إدوارد فلم تحدث أية هزات سياسية عنيفة ولم تواجه السلطة الملكية هذا التحدي القوي من البارونات أو رجال الدين كما حدث في عام ١٢٩٧م، حيث لاقت السياسة التي اتبعها الملك إدوارد الأول في ويلز ومحاولاته لضمها للتاج البريطاني ترحيب من قبل كل البارونات و رجال الدين الإنجليز، ومن ثم قدموا له الدعم الكافي لاتمام عملية غزو ويلز.[١]

وبـدأت الأزمـات الداخليـة فـي عهـد الملـك إدوارد الأول ١٢٩٧م نتيجـة لسياسته الخارجية التي أرهقت الموارد الإنجليزية فقد كان في حاجة لتجهيز حملته المرتقبة إلى الفلا ندرز وكانت غير مرضية في اسكتلندا وتحتاج إلى مزيد من الحملات العسكرية التي ترتفع تكاليفها المالية، الأمر الذي دفع الملك إدوارد إلى فرض ضريبة ضخمة على البارونات الإنجليز لتجهيز تلك الحملات ،إلا أنهم رفضوا تأدية هذه الضريبة فضلًا عن غيرها من الأعباء الإضافية التي تتطلبها سياسته الخارجية، كما رفض البعض الأخر تأدية الخدمة العسكرية خارج إنجلترا.(٢)

وقد جاء أول احتكاك بين الملك إدوارد والبارونات الإنجليز خلال البرلمان الذي عقده في ساليزبورى Salisbury الواقعة في جنوب انجلترا في الرابع والعشرين من فبراير عام ١٢٩٧م لمناقشة الخطط العسكرية ضد الملك الفرنسي فيليب الرابع لاسترداد دوقية جاسكوني، حيث قام البارونات والأقطاب الإنجليز خلال هذا البرلمان بمعارضة الخطة العسكرية للملك إدوارد المتمثلة في خروجه نحو الفلاندرز على رأس الجيش لتقديم المساعدة لخليفة كونت الفلاندرز في حربة ضد الملك الفرنسي في حين يتجه البارونات بجيوشهم إلى مقاطعة جاسكوني، ومن ثم يتم حصر الملك الفرنسي فيليب الرابع بين جهتين، وقد قاد هذه المعارضة خلال المجلس اثنان من البارونات البارزين وهما روجر بيجود Roger Bigod أيرل نورفولك Norfolk، والذي كان يتولى منصب مارشال القوات الإنجليزية، وهمغري بوهن Humphrey Bohun إيرل هيرفورد Hereford والذي كان يتولى منصب قائد عام القوات الإنجليزية. (٣)

وعندما طلب الملك إدوارد من البارونات تقديم المساعدة العسكرية لاسترداد دوقية جاسوني قاموا بتقديمه الاعتذارات الواحد تلو الأخر، أما روجر بيجود

وهمفري بوهن فنظرًا لما لهما من قوة لتوليهما منصب المارشال والقائد العام فقد أعلنا صراحة أنهما لن يقوما بتقديم الخدمة العسكرية إلا في حالة أن يقوم الملك بنفسة بقيادة الجيش المتجة إلى دوقية جاسكوني، الأمر الذي أثار الغضب بين كلا الجانبين وعمت موجة من العنف داخل المجلس حيث ثار المل إدوارد مهددًا بتجريد كل من يرفض الاشتراك في الحملة من منصبة، وأقسم للإيرل المارشال قائلا "أقسم بالرب أيها الأيرل إما أن تذهب وإلا فالموت شنقا" ورد عليه المارشال بشكل سريع بنفس قسمك أيها الملك لن أذهب ولن أشنق"، ثم انسحي البارون من المجلس.(٤)

بالإضافة إلى القضايا العامة لعبت الأمور الشخصية دورًا هامًا في أزمة عام ١٢٩٧م، فكان كلا من همفري بوهن إيرل هيرفورد وروجر بيجود إيرل نورفولك يحمل حقدا دفينا تجاة الملك إدوارد، ووجدت سوابق غير جيدة في علاقتهما معه، فقد عامل الملك إدوارد همفري بوهن بطريقة قاسية في عام ١٢٩٠م عندما استدعاه للمثول أمامه لحسم النزاع القائم بينة وبين إيرل جلوسيستر حول بعض الأراضي المحصورة بينهما، متجاهلا الخدمات العسكريسة التي قدمها له باعتباره قائد عام للقوات العسكرية في إنجلترا.(٥)

أما روجر بيجود فكان لديه هو الأخر أسبابه الخاصة للغضب من الملك إدوارد عندما تجاهل منصبة كمارشال للقوات الإنجليزية وعين أحد الفرسان الملكيين ليكون قائدا للقوات العسكرية في ويلز، فضلا عن النزاعات القائمة بين الطرفين حول الديون المستحقة للتاج الملكي لدى روجر بيجود والذي تعهد في عام ١٢٧٧م بالتنازل عن ملكيتة لإقطاعية بوشام Bosham للملك مقابل هذه الديون، وعلى الرغم من حصوله على فرصة أخرى لتسديد ديونه خلال البرلمان الذي عقد عام ١٢٨٠م إلا أنه لم ينسي الطريقة السيئة التي تعامل بها الملك إدوارد معه لدفع هذه

الديون باستدعاءه أكثر من مرة للمثول أمام مجلس القضاء الملكي King Bench، هذا إلى جانب أن حنا دي فيرارز John de Ferrers وهو أحد أهم البارونات الإنجليز كان له مظلمة أخرى بسبب المعاملة السيئة التي تلقاها والدة روبرت فيرارز عقب حرب البارونات (١٢٥٨- ١٢٦٥م) حيث فقد معظم ممتلكاته وحرم من لقبة كإيرل دربي Derby. (٦)

ونتيجة للرفض الذي واجهة الملك إدوارد من البارونات في البرلمان ساليزبورى لم يتمكن من إرسال قوات جديدة للمشاركة في الخدمة العسكرية في مقاطعة جاسكوني خلال عام ١٢٩٧م، مما دفعة إلا إصدار قرار ملكي في الخامس عشر من إبريل عام ١٢٩٧م باستدعاء مائة وثلاثين من الأقطاب الإنجليز ومعظم الممثلين الإقطاعيين وبعض الشخصيات الكنسية لحضور الاجتماع المقرر انعقادة في لندن في السابع من يوليو من نفس العام، وخلال الاجتماع طلب الملك إدوارد من كل شخص يمتلك أراضي دخلها السنوي عشرون جنيها استرلينيا أو أكثر بالإستعداد لتقديم الخدمة العسكرية ضد الملك الفرنسي، ولم يذكر الملك إدوارد أي إشارة عن المكان الذي ستتوجه إليه الحملة التي يتم الإعداد لها، كما طلب من روجر بيجود وهمفري بوهن باعتبارهما يتوليان منصب مارشال وقائد القوات الإنجليزية أن يقوما بإعداد قائمة بأسماء الحاضرين ليتم فرض الضرائب الإقطاعية والخدمات العسكرية التي سيقدمونها من أجل الحملة المرتقب تجهيزيها، إلا أنهما رفضا القيام بذلك، فما كان من الملك إدوارد إلا أن قام بعزلهما من مناصبهما العسكرية، وعين كل من جيوفري دي جينيفيلي Geoffrey de Geneville في منصب المارشال وتوماس بيركيلى Thomas Berkeley في منصب القائد.(٧)

قبل اجتماع لندن السابق عقد البارونات الإنجليز اجتماعا في مونتجمري في أواخر شهر إبريل من نفس العام، وقد حضره كل من المارشال روجر بيجود إيرل نورفولك والقائد همفري بوهن إيرل هيرفود بالإضافة إلى حنا هاستينجز John Hastings إيرل وارويك WarwickK، وإدموند مورتيمير Edmund Mortimer إيرل اروندل Arundel، وقد اتفق الجميع على ألا يقوموا بتقديم أي خدمات عسكرية للملك إدوارد في بلاد ما وراء البحر نظرًا لأنهم قضوا وقتا طويلا خلال الحروب في ويلز واسكتلندا، كما أنهم انهكوا بسبب الضرائب المتكررة التي فرضها الملك إدوارد عليهم خلال السنوات السابقة، كما اتفق الجميع على ضرورة حضور اجتماع لندن الذي دعاهم إليه الملك مع الثبات على هذا الموقف(٨)

لكن حدث إنقسام فيما بعد في موقف البارونات فقد نجح الملك إدوارد من رشوة حنا هاستينجز ايرل وارويك في مقابل ولائة له، كما انضم أيرل أروندل إلى الملك وبدأ في جمع الأموال التي يحتاج إليها للمشاركة في الحملة المرتقبة للفلاندرز، وعلى العكس فقد أصر إيرل هيرفورد وايرل نوفول على موقفهما ورفضا الإمتثال لأوامر الملك خلال الإجتماع. (٩)

بالإضافة إلى نجاح الملك إدوارد في خرق صفوف المعارضة الذين اجمعوا في مونتجمري، قام بالحجز على بضائع الصوف في البلاد وطالب التجار بمبالغ ضخمة لاستردادها مرة أخرى، كما قام بفرض ضرائب ضخمة على تجار الصفوف والتي عرفت باسم المالتوت MaletoteK، بالإضافة إلى فرض ضرائب ضخمة على جميع الممتلكات والأراضي في المملكة والضرائب العينية على القمح والشعير لتمويل حملتة العسكرية للفلاندرز، ولما كان الصوف هو الدعامة الأساسية للاقتصاد الإنجليزي والتي اعتادت إنجلترا على تصديره كمادة خام والحصول على

إيرادها الأساسي من الضريبة المفروضة على عملية التصدير، فقد أدى حظر تصديرة إلى أسوء الأحوال الاقتصادية للبلاد ورغم ذلك استمر الملك إدوارد في تنظيم حملة الفلاندرز، مما دفع البارونات ومعهم تجار الصوف إلى تعبئة جيوشهم للدفاع عن أنفسهم ومصالحهم، فقاموا بالاستيلاء على الممتلكات التابعة للقائمين على عملية جمع الضرائب وغيرهم من الموظفين الملكيين. (١٠)

وفي إطار محاولاتهم لمواجهة الملك إدوارد كان من الطبيعي أن يسعى البارونات بقيادة كل من روجر بيجود وهمفري بوهن للحصول على تأييد روبرت وينشيلسي رئيس أساقفة كانتربري الذي كان هو الأخر في نزاع مع الملك إدوارد، إلا أن الملك إدوارد حال بين البارونات وبين الحصول على هذا التأييد، حيث وجد أنه في ظل تلك الظروف فإن الحصول على مساعدة رئيس الأساقفة وينشسلسي أصبح أمرًا أساسيًا لا غني عنه، وإلا سيكون الأمر نكبة كبيرة عليه، وبالفعل نجح الملك إدواراد في الحادي عشر من يوليو عام ١٢٩٧م في مصالحة رئيس الأساقفة الذي استطاع أن يقنع بعض البارونات بالانضمام إلى جانب الملك في حملاته العسكرية ضد الملك الفرنسي، إلا أن همفري بوهن وروجر بيجود وغالبية البارونات تمسكوا بموقفهم المعادي للملك، خاصة بعد حرمانهم من مناصبهم العسكرية، واستمروا لهذه المعارضة رفض كل من بيجود وبوهن في الرابع عشر من يوليو من نفس العام تأدية يمين الولاء لإدوارد أوف انارفون الابن الأكبر للملك إدوارد بإعتباره الملك المستقبلي للبلاد (١١)

وأمام هذه المعارضة القوية من معظم البارونات فشلت جهود المل إدوارد في تكوين قوات مسلحة على أساس الخدمات الإقطاعية من أجل حملته إلى الفلاندرز فأجبر على الموافقة بأن يذهب لمن يشترك في تلك الحملة على نفقة

التاج بالإضافة إلى الأجور اللازمة لهم، ما أجبرته المعارضة على الاستعانة بالجنود المرتزقة، وهكذا كانت الأحداث الواقعة في جاسكوني والحملة إلى الفلاندرز ـ والتي صممت أصلا لتكون وسيلة لإسترداد جاسكوني ـ سببا في تغير السياسة الإنجليزية والضغط على المؤسسات المالية. (١٢)

وقد لاقت المعارضة البارونية تأييدًا قويًا في البلاد، لذا فقد سعى الملك إدوارد إلى تسوية النزاع بينه وبين باروناتة، وقد اختار لهذه المهمة رئيس الأساقفة روبرت وينشلسي، الذي تحول من خصم عنيد للملك إلى وسيط بينه وبين البارونات، وبالفعل قام رئيس الأساقفة ومعة عدد من الأساقفة بعدة محاولات خلال شهر يوليو لاتاحة الفرصة للملك إدوارد للتفاوض مع البارونات المعارضين له، حيث دعى الطرفان إلى اجتماع مبدئي في والثام Waltham في السادس والعشرين من يوليو وقد حضره اثنان من الفرسان وهما روبرت فيتز روجر Robert Fitz Roger وحنا دي سيجراف John de SegraveK، وقد جاء هذان الفارسان في جانب النبلاء لن لم يتم التوصل إلى أي اتفاق بين الطرفين، لتمسك كل طرف بموقفه تجاه الحملة العسكرية على إقليم الفلاندرز، لذا فقد تمت محاولة أخرى في أسقفية القديس البانز في الثامن والعشرين من نفس الشهر لكنهما فشلت أيضا نتيجة لحضور البارونات. (١٣)

أما المحاولة الأخير للتوفيق بين الطرفين، فقد جاءت في أواخر شهر يوليو، حيث تم عقد اجتماع في مدينة ستامفورد Stamford الواقعة في شمال إنجلترا حضره كل من انتوني بيك أسقف درهام، إيرل وروي، وجيوفري دي جينيفيلي الذي كان يتولي منصب مارشال القوات الإنجليزية نيابة عن الملك إدوارد من ناحية وحضرة البارونات من ناحية أخرى، وخلال الاجتماع أشار همفري بوهن إلى أن

البارونات لا يحملون أي نية سيئة تجاه الملك إدوارد ولكنهم يختلفون معه في موقفهم تجاه إرسال الحملة العسكرية إلى إقليم الفلاندر، وقام بتقديم قائمة من الالتماسات والشكاوي البارونية التي تضمنتها وثيقة هامة عرفت باسم الاحتجاجات أو الاعتراضات "Remonsrances" (١٤)

كانت أولا احتجاجات البارونات تتعلق بالاجتماع الذي عقد في لندن في السابع من شهر يوليو والذي لم يحدد المكان الذي ستتوجه إليه الحملة ومن ثم تحديد النفقات والتدابير اللازمة للمكان، فقد أشارت البارونات أنه في حالة انطلاق الحملة إلى الفلاندرز لن يقوموا بتأدية أية خدمة عسكرية فيها لأنه لم يسبق لهم أو لمن قبلهم أن قاموا بتأدية الخدمة خاصة مع الأوضاع السئية في اسكتلندا فيكون من الأفضل تأجيل تل الحملة أو إلغائها تماما، كما احتج البارونات على الاستدعاءات الموجهة لكل من يمتلك أراضي يقدر دخلها بعشرين جنيها أسترلينيا سنويا، ما اعترضوا على الطريقة التي تم بها تجاهل بنود وثيقة العهد الأعظم وحرمان البارونات من حقوقهم الدستورية.(١٥)

كما أشار البارونات ضمن هذه الوثيقة إلى اعتراضهم على ازدياد الأعباء المالية المفروضة على جميع طبقات المجتمع، وقيام المل بمصادرة بضائع الصوف وفرض الضرائب المتعددة والغرامات والإتاوات وغيرها من الإلتزامات التي أجت بهم إلى الفقر، كما أشار البارونات أنه حتى إذا أراد أحد الاشتراك في هذه الحملة سواء من المدنيين أو رجال الدين فلن يجد ما يقاتل به بسبب هذه الضرائب الباهظة التي أرهقت الجميع، وفي نهاية هذه الوثيقة طالب البارونات الملك أن يعمل على معالجة هذه الأمور إكرامًا لشعبه، وهكذا كانت الوثيقة لا تخص البارونات بل جميع أهالي المملكة. (١٦)

بالنسبة لموقف الملك إدوارد تجاه تل الشكاوي فقد أجاب بأنه لا يمكنه الرد عليها بدون مراجعة استشارية، كما أكد على موقفة بالذهاب إلى الفلاندرز لتقديم المساعدة إلى خليفة كونت الفلاندرز، وأعلن أن التسوية الوحيدة التي على استعداد للتوصل إليها تل الخاصة بالتأكيد على بنود العهد الأعظم مقابل دفع ضريبة جديدة، وأنه مستعد لتغيير الأوضاع الخاصة بمصادرة الصوف، وعلى الرغم من ذلك قام في الثلاثين من يوليو من نفس العام بتعيين بعض الموظفين الملكيين لتقدير الضرائب على جميع أفراد المملكة من دينيين وعلمانيين وجمعها على أساس الثمن والخمس على الممتلكات المنقولة بدون الحصول على الموافقة الجماعية، كما قام الملك بالحجز على المواد الغذائية الخاصة الحبوب من أجل حملها معه إلى الفلاندرز، وواصل سياسته في مصادرة الصوف بحجة عدم تصديره إلى فرنسا.(١٧)

وعلى الرغم من عدم الالتزام بوعوده واستمراره في فرض مزيد من الأعباء المالية على مواطني المملكة، حاول الملك إدوارد خلال تلك الأزمة التأثير على الرأي العام واستمالته إلى جانبة فقام بمنشادة الشعب من خلال البيان الذي أصدره في الثاني عشر من أغسطس عام ١٢٩٧م، والذي ذكر فيه " لما كان الملك يسعى دائما إلى سلامة وسعادة جميع أفراد المملكة، فإنه يسعى لذلك أيضا بإعداده لهذه الحملة التي يرجو منها الحصول على رضا الرب، ومن أجل شرف المملكة والمنفعة العامة، فضلا عن استرداد أملاكه التي سلبها الملك الفرنسي بدون وجه حق" كما ذكر الملك إدوارد مبررا ذهابه إلى الفلاندرز "بأنه لا يستطيع أن يتخلى عن حلفائه في الخارج، وأن الضرائب التي فرضها بما فيها الضرائب المفروضة على الرهبان ورجال الدين ليست لأغراض شخصية أو بناء قلاع أو شراء ممتلكات إنما هي للصالح العام واسترداد دوقية جاسكوني والسعي لوضع نهاية حاسمة للحرب المشتعلة مع الفرنسيين، تلك الحرب التي تهدف إلى القضاء على الأمة

الإنجليزية بأكملها، كما أنه لا يستطيع الدفاع عن المملكة إلا بمساعدتهم وحذرهم من المشاكل التي نشبت في الماضي نتيجة نزاع الحام مع رعاياة، ووعدهم أنه بمجرد عودتة من الحملة سيقوم بتنفيذ كل وعودة لهم وسيتم النظر في جمع المظالم المقدمة إليه، وإذا بم يقدر له العودة فسيقوم ورثة بفعل ذلك .[١٨]

ولم يلق هذا التصريح الملكي أي صدى لدى البارونات فبعد بضعة أيام من إلقاء هذا التصريح إتجه الملك إدوارد غلى وينشيلسي Winchelsea استعدادا للذهاب بحمتلة إلى إقليم الفلاندرز، وبينما أن في هذا المكان إتجه مجموعة من البارونات في الثاني والعشرين من أغسطس وفي مقدمتهم روجر بيجود ايرل نورفولك وهمفري بوهن ايرل هيرفورد بالإضافة إلى عدد من القادة العسكريين الفرسان إلى مقر الخزانة العامة في لندن Exchequer، وكان همفري بوهن هو المتحدث الرسمي عنهم، وقد ادعى أنه يتحدث بالنيابة عن الشعب بأكمله، وأعلنه رفض الجميع للقرارات التي قام الملك بإصدارها خاصة فرض ضريبة الثمن والخمس وأكد على أن جميع نبلاء وشعب المملكة يرفضون دفع تلك الضريبة ومصادرة الصوف، والتي أدت بالشعب إلى حالة من حالات الرق والعبودية، ومن ثم فقد طالبوه بضرورة إلغائها.[١٩]

وعندما وصلت هذه الأخبار إلى الملك بواسطة مجموعة من رسل البارونات للتعرف على موقفة من هذه البنود، أجاب الملك إدوارد أنه لا يمكنه الرد على ذلك بدون استشارة مجلسة الذي يصعب اجتماعة في هذا الوقت ولذا فإنه لن يتمكن من الرد عليهم، وبدلا من أن يقوم بإرضاء البارونات أد لهم مرة أخري على الخطر الذي يجب مواجهته، وطالبهم بأن يظلوا على ولائهم والإخلاص له، ورغم تمس البارونات بموقفهم وزيادة صرخات الشعب المنتشرة في جميع أنحاء البلاد نتيجة لسوء الأوضاع الاقتصادية، أبدي الملك إدوارد تجاهلا واضحا لكل ذلك

وأصر على الخروج بجيشة إلى الفلاندرز في أشهر أغسطس عام ١٢٩٧م تاركًا بلاده على حالة سيئة وعلى وشك الوقوع في حرب أهلية. (٢٠)

وفي الوقت الذي اجتمع فيه البارونات في مقر الخزانة العامة في لندن، حدث تحدى صارخ بين أفراد الشعب وبين الموظفين الملكيين الذين حاولوا جمع ضريبة الثمن، حيث أصروا على عدم تقديم أيه عطايا جديدة حتى يحصلوا على حرياتهم المزعومة في ضوء بنود العهد الأعظم، ونتيجة لهذة المعارضة قام الأمير إدوارد أو كانارفون Edward of Cacrnarfon في أواخر شهر أغسطس عام ١٢٩٧م بتوجيه الدعوة إلى البارونات للحضور في البرلمان المقرر انعقاده في الثلاثين من سبتمبر من نفس العام في مدينة لندن للنظر في مطالبهم، إلا أن البارونات قاموا بالتجمع مرة أخرى في نوثمباتون وقرروا عدم إرسال أي مندوبين عنهم لحضور هذا البرلمان، وقاموا بتجهيز الفرسان والتابعين لهم وتجمعوا في لندن استعدادا لأي تطورات، ما قاموا بتحصين القلاع التابعة لهم لتكون في حالة الاستعداد، وقد استغل البارونات أخبار هزيمة القوات الإنجليزية على يد الاسكتلنديين عند جسر ستيرلينج في الحادى عشر من سبتمبر عام ١٢٩٧م، وأشاروا أنهم كانوا على حق عندما أدوا على أن الأوضاع في الشمال خطيرة وعلى المل ألا يغادر البلاد، كما أشاروا أنهم مستعدون لمساعدة المل لإسترداد المانة الإنجليزية في اسكتلندا، إلا أنهم لن يتركوا مواقعهم الدفاعية إلا بعد إجابة مطالبهم.(٢١)

وقد ذكر البارونات مطالبهم في وثيقة عرفت ب " Concedendo non DeTallagio وفيها أضاف خصوم الملك بنود جديدة إلى وثيقة العهد الأعظم، أخذ معظمها من المطالب السابقة التي ذكرت في وثيقة الاعتراضات "Remonsrances إلا أنها كانت في الأساس ردًا على اصرارة على فرض

ضريبة الثمن، حيث طالبوا في أحد بنودها بعدم تحصيل أية ضريبة إقطاعية أو مساعدات مالية إلا برضا الجميع في المملكة ابتداء من رئيس الأساقفة إلى عامة الشعب، وعدم قيام الموظفين الملكيين فى الوقت الحالي أو في المستقبل بمصادرة الصوف أو الجلود أو القمح، وأكدوا على ضرورة إلغاء الرسوم الجمركية المفروضة على البضائع والمعروفة باسم المالتوت Maltolt، كما وجد بند في هذه الوثيقة يتعلق بالعفو عن روجر بيجود بوهن وحنا فيرارز وغيرهم من البارونات والفرسان ممن رفضوا الذهاب مع الملك إدوارد إلى الفلاندرز، إلا أن الأمير إدوارد لوف كاتارفون أرسل لهم مندوبين عنه يخبرهم بأنه لا يمكن لحكومة الوصاية على العرش أن تصدر عفوا عن أحد البارونات بدون الرجوع للملك إدوارد، ووعدهم بأنه سيعمل على اقناع الملك إدوارد بتنفيذ مطالبهم والعمل على إنهاء حالة الغضب العام.(٢٢)

وعلى الرغم من تلك الوعود التي قدمها الأمير إدوارد أوف كانارفون للبارونات المعارضين، تلقي تعليمات من والدة الملك إدوارد بالتأكيد على جمع الضريبة الثمن بالإضافة إلى فرض رسوم جديدة على بضائع الصوف من أجل تعزيز قواته العسكرية في الفلاندرز، ولا شك أن تلك الإجراءات الجديدة زادت من استياء البارونات الذين وجدوا فيه تجاهل واضح من المل لهم ولكل شعب المملكة ومطالبهم، فتوجهوا إلى لندن في العاشر من أكتوبر وطلبوا من الأمير إدوارد أوف كانارفون على الموافقة في الثاني عشر من اكتوبر ١٢٩٧م على إعادة التأكيد على بنود العهد الأعظم وإضافة بنود أخرى جديدة عليها بما يتفق مع مطالبهم، وقد رفضت حكومة الوصاية هذه المطالبة وأشارت أنها على استعداد لتقديم امتيازات أخرى لكن وثيقة منفصلة، تلك الوثيقة التي عرفت باسم Confirmatio Cararum. (٢٣)

واشتملت وثيقة Confirmatio Cararum على ضرورة إلغاء الرسوم الجمركية على البضائع والمعروفة بالمالتوت Maletotes، فضلا عن الامتناع عن الضرائب الإضافية مع استمرار الضرائب العادية التي كانت تفرض على صادرات الصوف منذ بداية العهد الملكي ومنها ضريبة التسع على المنقولات المالية، بالإضافة إلى تعهد الملك بعدم فرض أي ضرائب أو اعانات مماثلة في المستقبل إلا بمواقفة البرلمان وجمهور المملكة، على أن توزع نسخ من هذه القرارات على جميع الكنائس والكاتدرائيات ليتم إذاعتها على مسامع الشعب مرتين سنويا، ومن يخل بهذه القرارات يكون من حق رئيس الأساقفة والأساقفة إصدار عقوبة الحرمان الكنسي ضده، وقد وافق الأمير إدوارد أوف كانارفون على تلك الوثيقة. (٢٤)

وفي الخامس من نوفمبر من نفس العام أرسلت الوثيقة إلى مدينة غنت Ghent حيث تم التصديق عليها من قبل الملك إدوارد، كما صدر في نفس الوقت قرار العفو عن بيجود وبوهن وحنا دي فيرارز وأتباعهم الذين رفضوا مصاحبة الملك إدوارد في حملته إلى الفلاندرز وقد حاز هذا النصر الذي أحرزة البارونات على رضا أهالى المملكة. (٢٥)

جديد بالذكر، أنه خلال تلك الأزمة التي اندلعت بين الملك إدوارد والبارونات الانجليز صدرت العديد من الوثائق، وهذه الوثيقة من أهم هذه الوثائق والتي من خلالها تم القضاء على تلك الأزمة ولو بشكل مؤقت، فإذا كانت وثيقة الإحتجاجات Remonsrance هي رواية وسرد للشكاوى البارونية فإن وثيقة Confirmatio Cararum كانت بمثابة تصريحا رسميا لمعالجة تلك الشكاوي والتظلمات، وقد أصر البارونات على أن تكون تلك القرارات الصادرة بمثابة أمرا للقضاة وغيرهم من الموظفين الملكين القائمين على النظر في جميع الالتماسات والقضايا حتى يطبقوا تلك البنود في جميع إجراءاتهم، رغم ذلك فالامتيازات التي

تضمنتها تلك الوثيقة لم يكن لة من القوة مثل تلك التي احتوتها وثيقة العهد الأعظم. (٢٦)

عقب ذلك إنتقلت وثيقة Confirmatio Cararum بعد أن وافق عليها الملك إدوارد إلى إنجلترا عن طريق والتر لانجتون Walter Langton أمين الخزانة وإذيعت على العامة في ساحة ويسمنستر، وفي الثالث والعشرين من نوفمبر صدرت الأوامر بإلغاء ضريبة المالتوت، كما صدرت أوامر أخرى بتجميع مؤن ومواد غذائية جديدة لتزويد الجيش في الفلاندرز ولم تحدث أية احتجاجات من العامة ضد هذه الأعباء الجديدة نظرًا لسوء الأوضاع في الفلاندرز فضلا عن سوء أوضاع القوات الإنجليزية في اسكتلندا بعد هزيمة ستيرلنج بريدج.(٢٧)

ونتيجة لسوء الأوضاع في اسكتلندا بدأ الملك إدوارد في الاستعداد لتجهيز حملة ضخمة للتوجه إلى اسكتلندا للقضاء على المتمردين الاسكتلنديين، ولذا فقد أصبح في حاجة ماسة إلى مساعدات البارونات الإنجليز والاستفادة من القوات التابعة لهم في تلك الحملة الملكية، ومن ثم فقد حاول الاستفادة من الموقف الذي اتخذه البارونات الإنجليز تجاه القضية الاسكتلندية بضرورة القضاء على التمرد الاسكتلندي، الأمر الذي جعله يسعى إلى إنجاز تسوية معهم وفي مقدمتهم إيرلات هيرفورد ونورفولك خاصة بعد أن أعلنا أنهما ليسا قادة لأي حرة وطنية، بل أنهما يسعيان لاستعادة المناصب العسكرية التب فقدت منهما، وبالفعل تمت تسوية الخلافات بين البارونات والملك إدوارد على أساس العودة إلى مناصبهم، ولمزيد من الأمان طالب البارونات الملك إدوارد بإعادة التأكيد على مطالبهم السابقة التي صدق عليها نظرًا لأنه تم اعتمادها في أرض غريبة عندما كان خارج البلاد في غنت.(٢٨)

لكن على الرغم من اشتراك البارونات في النجاح الإنجليزي في اسكتلندا أثناء حملة في الكرك عام ١٢٩٨م تجدد النزاع مرة أخرى بينهم وبين الملك إدوارد نظرا لأنه لم يقدم أي إشارة تؤكد أنه جاد في تنفيذ الشروط التي تم الاتفاق عليها قبل اشتراكهم في الحملة، وبدأ يتملص منها ويختلق الصعوبات، وأصبحت الأمور أسوأ عندما قام المل إدوارد يتوزيع ممتلكات الاسكتلنديين المنهزمين على القواد الإنجليز متجاهلا ل من روجر بيجود أيرل نورفولك وهمفري بوهن إيرل هيرفورد، لذا عندما وصل الجيش إلى كارايل قدم الإيرلات اعتذارا عن تأدية خدمة عسكرية أخرى جديدة للملك. (٢٩)

جدير بالذكر، أن البارونات كان لديهم بعض الشك في إنجاز الملك إدوارد ما تم الاتفاق عليه، خاصة أنه عقب عودته إلى إنجلترا من دوقية جاسكوني في بداية عام ١٢٩٨م، قام بالتحقيق في الأمور الإدارية التي أساء الموظفون استخدامها أثناء غيابه عن إنجلترا، ومنها الامتناع عن جمع ضريبة الخمس، لذا عندما قرر كلا من روجر بيجوه وهمفرى بوهن وغيرهم من البارونات المشاركة في الحملة المرتقبة على اسكتلندا رفضوا القيام بذلك حتى يتم التأكيد مرة أخرى على الحقوق التي طالبوا بها سابقًا، لذا عقدت مقابلة في يورك في شمال إنجلترا خلال شهر يناير عام ١٢٩٨م حضرها كلا من حنا دي ورين إيرل سوري وإيرلات كل من جلوسيستر ولينكولن وخلالها وجه أساقفة كارليل ودور هام عقوبة الحرمان الكنسي لكل من ينتهك وثيقة العهد الأعظم. (٣٠)

وكانت السنوات الممتدة بين عامي ١٢٩٩م و ١٣٠١م هي الأكثر صعوبة في علاقة الملك إدوارد مع باروناتة، فقد احتجوا يعنف على أي ضرائب يقوم بفرضها من أجل حملاتة العسكرية على اسكتلندا، عندما تأكدوا على مراوغته في التأكيد على العهود السابقة، وأصروا على أن تنفذ هذه العهود من قبل البرلمان،

ولذلك عندما انعقد البرلمان مرة أخرى على التأكيد إضافة سلسلة أخرى من البنود إلى العهود أو المواثيق التي تعهد بتطبيقها من قبل، والتي اشتملتها وثيقة جديدة أطلق عليها Articuli Super Carats والتي طالبت بإحداث مسح شامل للغابات لفحص وإيقاف التجاوزات الملكية التي تعمل على توسيع وتمديد حدود تلك الغابات، والتي من خلالها أصبح سيطرة الملك الفعلية عليها أكثر من بقية المملكة، فضلا عن غيرها من المطالب التي تعلقت بضرورة تهدئة الموقف وإزالة معاناه العامة، وقد وقع الملك إدوارد على هذه المطالب في الثامن والعشرين من مارس من نفس العام، وشهد على الوثيقة عدد كبير من الأساقفة والبارونات والإيرلات.(٣١)

وفي العام التالي وأثناء انعقاد البرلمان في لنكولن في فبراير عام ١٣٠١ دعى الملك إدوارد الأول رجال الدين والبارونات والممثلين عن كل المقاطعات وطالبهم بمنحة مالية جديدة قدرت بنسبة ١٥/١ من ممتلكاتهم المنقولة، الأمر الذي أثار مزيدًا من المعارضة نظرًا لضخامة وكثرة الضرائب التي فرضها الملك في الفترات الأخيرة، في الوقت الذي لم يقم بتنفيذ الوعود التي سبق أن تعهد بها للبارونات، لذا قام هنري أوف كيلي Henry of Keighley وهو أحد فرسان مقاطعة لانكشير Lancashire بتقديم إعلان طويل باسم كل الحضور من أساقفة وبارونات، وكانت بنود هذا الإعلان تركز على حفظ العهود السابقة والتأكيد على بنود العهد الأعظم والقانون الخاص بالغابات، وعلى الرغم من أن الملك إدوارد اضطر إلى الموافقة على معظم هذه المطالب للحصول على هذه المنحة التي طالبهم بها، إلا أنه لم يحدث أي شئ في هذا الاتجاه ولم يتم أي تأكيد على هذه العهود .(٣٢)

بعد ذلك بدأت المعارضة تدخل مرحلة الركود مما ساعد الملك إدوارد أثناء انعقاد برلمان لينكولن عام ١٣٠١ في الحصول على الدعم الكامل من البارونات

وتأييدهم ضد مزاعم البابا بونيفاس الثامن بأن اسكتلندا تابعة للكنيسة الرومانية المقدسة، وأصبح البارونات غير معارضين للحرب في اسكتلندا، بل مصرين مثل الملك إدوارد على الغزو التام للمملكة، وهذا ما أشار إليه في الخطاب الذي أرسلوه إلى البابا في الثاني عشر من شهر فبراير عام ١٣٠١م.

وأخيرًا في الرابع عشر من شهر فبراير عام ١٣٠١م اضطر الملك إدوارد تحت ضغط من البارونات والعامة أن يؤكد من جديد ولأخر مرة وضع كل القرارات والبنود الإضافية محل التنفيذ، ويبدوا أنه قد تعلم من خلال صراعة الطويل وخلافاته القائمة مع البارونات أنه لن يتمكن من اخضاع اسكتلندا بدون تسوية هذه الخلافات الداخلية.(٣٣)

وعلى الرغم من أن الملك إدوارد كان في سنواته الأخيرة فى وضع ضعيف نتيجة للصعوبات المالية التي كان يواجهها، لم يكن معارضون من البارونات والنبلاء الإنجليز فى موضع قوة كما كانوا من قبل، فقد مات همفرى دي بوهن في عام ١٢٩٨م، كما كان روجر بيجود في ضائقة مالية شديدة، ومن ثم لم يواجة الملك إدوارد في سنواته الأخيرة نفس المعارضة الحادة التي كانت في عام ١٢٩٧م، لذا كان عليه أن يتبع معهم سياسة مختلفة تمامًا عن تلك التي ظهرت في السنوات السابقة، وقد تمثلت هذه السياسة في إدماج البارونات والنبلاء المعارضين له في البيت الملكي فقام في عام ١٣٠٢م باتمام زواج ابنته مارجريت من بوهن دي همفري ايرل وابن همفري بوهن الذي تزعم المعارضة في عام ١٢٩٧م، كما أجبر الأيرل على تسليم ممتلكاته إلى التاج ليعاد منحها له مرة أخرى كإقطاع تابع للملك يستردها بمجرد موت صاحبه. (٣٤)

ونفس السياسة اتبعها مع الزعيم الأخر للمعارضة روجر بيجود الذي سلم أراضية إلى الملك إدوارد وفقا لنفس الشروط فقام في عام ١٣٠٢م بتسليم جميع أراضية للملك إدوارد، ثم استلمها مرة أخرى كميراث لورثتة من بعده وإذا مات بدون وريث تصبح من للتاج، علاوة على ذلك قام الملك إدوارد بتسليم روجر أراضي تقدر ب١٠٠٠ جنيها إسترلينيا، وفي اتفاقية ١٣٠٥م تم الاتفاق على أن يتم إعفاء روجر من جميع ديونه المستحقة للتاج، بشرط بشرط أن يدفع وريثة قيمة ٢٠.٠٠٠ جنيها استرلينيا عند بلوغة سن الرشد، هذه الاتفاقية رائعة من وجهة نظر الأيرل لأنه لم يكن قد أنجب حتى ذلك الوقت، ومن ثم لم يكن لدية ما يخشى أن يفقده بهذا الاتفاق، أما الملك إدوارد فقد أدرك أنه من الصعوبة على روجر اعادة الديون للتاج، وهكذا بموجب اتفاق عام ١٣٠٢م وعام ١٣٠٥م تخلي نورفولك عن عداوته للتاج مقابل إعفاءه من ديونه وغيرها من الالتزامات المالية.[٣٥]

وقد تعلم الملك إدوارد بعض الدروس من أحداث عام ١٢٩٧ م فعلى الرغم من إستمرار حروبة ضد الاسكتلنديين لم يفرض أي ضرائب سيادية أخرى كتلك التي فرضها في عام ١٢٩٧م، ولم يتم مصادرة الصوف مرة أخرى ولم يجبر أحدا من ملاك الأرضي التي تزيد قيمة أراضيهم عن عشرين جنيها سنويًا على الاشتراك في حملاته العسكرية، وفي عام ١٣٠٣م نجح في التفاوض مع التجار الأجانب لفرض ضريبة جمركية على الصوف المصدر، لكنه كان واثق من أن التجار الإنجليز سيرفضون دفع تلك الضريبة، وبدلا من القيام بإجراءات مالية غير مرغوب فيها شعبيا قامت الحكومة بزيادة الديون إلى حد لم يسبق له مثيل بإقتراض أموال ضخمة من الشركات الإيطالية، وقد وصلت الديون في نهاية عهد الملك إدوارد حوالي ٢٠٠.٠٠٠ جنيها استرلينيا، وخلال عامي ١٣٠٣م و ١٣٠٤م حصل الملك إدوارد على موافقة البارونات بفرض ضريبة على جميع المقاطعات والمدن

الواقعة داخل المملكة، وقد صدر القرار التاسع من ديسمبر عام ١٣٠٣م ونصه كالتالي، إلى كل المدن والمقاطعات والأقاليم والمناطق التابعة للملك وأية منطقة تحت حكمة أو حكم أحدا من ورثته، فهذا أمر ملكي صادر بعد اجتماع المجلس الملكي بجمع الضريبة من جميع سكان تلك المناطق المشار إليها. (٣٦)

وقد واصل الملك إدوارد في السنوات الأخيرة من عهده العمل على إحكام سيطرتة على الأمور الداخلية لبلادة، وقد ساعده على ذلك وجود البابا كلمنت الخامس (١٣٠٥ ـ ١٣١٤م) على عرش البابوية، وكان هذا البابا رجل سهل الانقياد وكانت تربطة علاقة صداقة مع الملك إدوارد، لذا فقد استغل الملك إداورد هذه الأمور في صالحه فقام في أكتوبر ١٣٠٥ بإرسال سفارة مميزة إلى الإدارة البابوية ppal curia في روما ضمت كل من ايرل لينكولن، أوتو دي جراندسون، ووالتر لانجتون، لاقناع البابا بتبرئة الملك إدوارد من الالتزام بالوعود السابقة التي قدمها للبارونات وجميع سكان المملكة، وفي التاسع والعشرون من شهر ديسمبر أصدر البابا مرسوما بابويا رسميا ليحل الملك إدوارد من وعودة السابقة التي التزم بها للبارونات الإنجليز وإلغاء وثيقة Confirmatio Cararum وجميع الامتيازات التي قدمها الملك للبارونات.(٣٧)

واستمرارًا للقضاء على المعارضة البارونية قام الملك إدوارد في الخامس من يونيو عام ١٣٠٦م بحبس هنري أوف كيلي في برج لندن بسبب الإعلان الذي كان قد قدمه في برلمان لينكولن في فبراير عام ١٣٠١م، والذي طالب من خلاله الملك بالحفاظ على العهود السابقة والتأكيد على بنود العهد الأعظم والقانون الخاص بالغابات. (٣٨)

وبالقضاء على المعارضة البارونية اتجه الملك إدوارد إلى تجهيز حملتة العسكرية الأخيرة ضد اسكتلندا والتي مات خلالها في عام ١٣٠٧م.

الخاتمة

إن طموح الملك إدوارد الأول الإنجليزي في توحيد البلاد وضم ويلز للتاج البريطانى، وحروبه في اسكتلندا وفرنسا، فرض كل ذلك عليه زيادة الأعباء على الشعب الإنجليزي، ولم يرى أن هذه السياسة في كثير من الأحيان بل أغلبها تكون ضد مصالح الشعب الإنجليزي وتسبب في الكثير من الأزمات الداخلية للبلاد.

البارونات الإنجليز لم يكونوا دائمًا معارضين للملك إدوارد الأول، بل عندما تكون سياسة الملك إدوارد الأول لصالح الشعب الإنجليزي، يقوموا البارونات الإنجليز بدعم الملك والدليل على ذلك دعمهم لي في حروبه مع ويلز، وموقفهم في غزو اسكتلندا عام ١٣٠١م عندما زعم البابا بونيفاس الثامن بأن اسكتلندا تابعة للكنيسة الرومانية المقدسة، نجاح سياسة الملك الخارجية لن تتحقق إلا بنجاحه فى حل الأزمات الداخلية، وهو ما قام به إدوارد الأول في سنواته الأخيرة من الحكم.

الهوامش

(1) powicke, F.M.,the thirteenth century, 1216_1307,oxford , 1962, p.673; Prestwich ،m., Edward I, London ،1992 ,p.249.

(2) Hall ،w.p.8 albion ,R.G, ahistory of England and the british empire, new York ,1946 ,p.164 ; Hollister ,w., the making of England, boston, 1966, p.187.

(3) Fawtier ,R., Histoire du moyen A e, tomvl ،L'Europe occidentale ,De 1270 A.1380, Premiere partle ,1270_1328,parise ,1940,p.329; cross, A.L, A history of england and greater Britain, new york,1921, p.175.

(4) keen, M.h., England in the later middle Ages –Apolitical history ,London ,1973, p.45 ; Tout,T.F, an advanced history of great Britain from the ear liest times to the death of edward III, London, pp.192_193.

(5) prestwich ,M., Edward I, pp.413_414.

(6) prestwich,M, The three Edwards war and state in England 1272_1377, London, 1980,p.30.

(7) Thomas walsingham ,chronica monasterils. Albani, Historia Anglicana. Edited by riley, H.TAD 1272_1381,Vol.1,PT.1,London, 1863,p.66;powicke,f.m, the thirteenth century, p.68.

(8) The Evesham chronicle ،the crisis of 1297, Edited by Denton ,J.H., in E.H.R.,Vol.93, No.368, (Jul., 1978), p.565 ; prestwich ،m., Edward 1 .pp.419_420.

(9) Denton, J.H., A worcester Text of the Remonstranes of 1297, inspeculm, Vol.53 ,No.3 ,(Jul. 1978), p.513; prestwich ,m., the three Edwards ،p.30.

(10) Cross ,A.L .,op .cit., p.175 ; Tout, T.F, an Advanced History, p.193.

(11) Powicke ،F.M., the thirteenth century .p.676 ; prestwich ،m., the three Edwards, p.30.

(12) Keeney ،B.C., military service and the Development of Nattionalism in England, 1272 _1327. in speculum, Vol XxII, 1947, p.546; prestwich ,m., Edward I, pp.419 _420.

(13) Edwards, J.G., confirmatio cartarum and Baronial Grieva nces in 1297, in E.H.R., vol.58, No . 230, Apr.,1943.p.151; prestwich, m., Edward 1 . p.420.

(14) The Evesham chronicle, the crisis of 1297, p.565; prestwich, m., Edward1, pp 420_421.

(15) Prestwich, m., the three Edwards, pp.28_29.

(16) Thomas walsingham, op .cit., pp.67_68; Denton, J.H., op .cit ., pp.520_521.

(17) Edwards, J.G., confirmatio cartarum and Baronial Grievances in 1297 ,p.15 ; prestwich, m., the three Edwards .p.29.

(18) Prestwich . m., Edward1, p.424; keeney, B.C., op.cit., p.539.

(19) Powicke, F.M., the thirteenth century, p.682.

(20) Thomas walsingham, op .cit., pp.69; Edwards, J.G., confirmatio cartarum and Baronisl Grievances in 1297, pp.51_52.

(21) Perstwich, m., Edward 1, pp.426_427.

(22) De tallagio non concedendo, in Admas, G.B. stevensen, H. (ed.), select Documents of English constitutional history, New York, 1908, pp.88_89 ; Prestwich, m., Edward1, p.427.

(23) The Evesham chronicle, the crisis of 1297, p.566; Rossi, m., storia d' inghilterre, vol 3., (Dal1066_ Al 1307), firenze, 1965. P.385.

(24) The General obligation to cavalry service under Edward1, in speculum, vol.xxvIII, 1928, p.819.

(25) Willson, D.H., A history of England, minnesota, 1972, p.147.

(26) Edwards, J. G ., confirmatio cartarum and Baronial Grievances in 1297, p. 61.

(27) Prestwich, m., Edward1, p.429.

(28) Thomas waslsingham, op.cit., p.75; continuation of william of vewburgh in chronicles of the reigns of Stephen henry ll, and Richard l, ed howlettr, vol.2,London, 1964, p.583; muir ,R,british history a survey of the history of all the british peoples, London, 1936, p.99.

(29) prestwich, m., Edward l.p.483.

(30) powlcke, f.m., the thirteen the century, pp.697 _698; keen,m. op.cit., p.47.

(31) Tout,T.F.an advanced History,pp.195;muir,R.,op.cit.,p.99.

(32) churchill, A history of the English speaking peoples, London, 1956, p.233; powicke, F.m., the thirteenth century, p.704.

(33) prestwich, m.,Edward1 ,p.526.

(34) Annales londonienses and Annales paulini chronicles of the reigns of Edward1 .and Edward11, vol.1 ,edited by stubbs, w, London, 1965, pp.127_129.

(35) prestwich, m., Edward1, pp.537_538.

(36) prestwich, m., three Edwards ,p.33.

(37) Thomas walsingham, op.cit., p.110 ;Prestwich, m., Edward, pp.547_548.

(38) prestwich, m., Edward1 ,p.525.